عودة روح

رواية

اسم الكتاب: عودة روح
اسم المؤلف: د. بانسيه محمد فضل
التصنيف: رواية
الحجم: 14 - 20
عدد الصفحات: 74
سنة االإصدر: 2024
رقم الإيداع: 32762 / 2024
الترقيم الدولي: 3 – 100 – 971 – 977 - 978
تدقيق لغوي: فريق ديوان العرب
تصميم غلاف: بانسيه محمد فضل
تنسيق وإخراج: فريق ديوان العرب

الناشر
ديوان العرب للنشر والتوزيع

إميلات الدار
dewanalarabegypt@gmail.com
dewanelarab1978@gmail.com

عودة روح

رواية

د. بانسيه محمد فضل

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف،
ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي،
أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه،
أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت،
إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

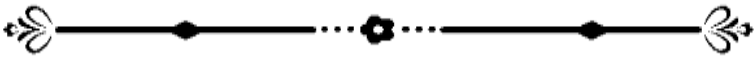

إهداء

إلى كل من رحلوا عنا لكن روحهم تسكن قلوبنا، إلى كل من ترك أثرا في نفوسنا بكلمة أو موقف، إلى كل من أرهقتهم الحياة فتمنوا الرحيل عنها.
إلى روح أبي الذي وإن رحل بجسده ستظل روحه باقية وكلماته نبراسا ينير لي الطريق.

أهدي لكم تلك الرواية القصيرة علها تعيد في الروح طاقة للبقاء من جديد.

د . بانسيه محمد فضل

****

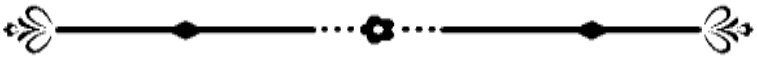

١/ مقدمة

هل أرواحنا تسكن أجسادنا أم أنها تحلق حول من أحببناهم وأسكناهم بقلوبنا حتى وإن رحلوا عنا؟ هل الحياة تتوقف بفقدانهم أم أنها يجب أن تستمر لنكمل مسيرتهم؟
نشتاق إليهم، نتمنى لو عادوا يوما لكي نراهم ونشم عبقهم، نحتضنهم في ذكرياتنا لكن هل من رحل يعود؟

كم يعاندنا القدر مرات ومرات ليتحدى أحلامنا وأمانينا في إختيار من نكمل معه الدرب، تارة نبحث عنه طيلة حياتنا فلا نجده، وتارة أخرى نعثر عليه بعد فوات الأوان.

لكن ما حدث مع محمود ماهر كاتب المسرحيات المعروف شيء مختلف تماما عن الواقع فهو أكمل دربه لكن مع روح خفية تتلبسه، حبيبة الماضي عادت روحها بعد عشرين عاما لتلازمه الباقي من حياته وتقلبها رأسا على عقب، صارت حياته كابوس متحرك بل أصبح جسده أنقاض بيت متهدم لا يتحمل أن يقترب منه أحد.

إنها روح حبيبته القديمة سيلينا، مات جسدها لكن روحها ظلت تحوم حوله يشعر بها في كل حياته، ولم يستطع الفرار منها في نومه أو صحوه، كاد أن يجن عقله ويفقد صوابه حين يعيش مع جسد تتلبسه روح أحبها، صار مشتت العقل، ممزق القلب، حاول التخلص من تلك الروح التي تلازمه لكن دون جدوى.

هل يغير مجرى حياته ويتزوج من روح خفية أم يكمل زيجته التقليدية ويهرب من تلك الروح التي تناديه، يسمع صوتها في أذنيه ويشعر بها تلامس شغاف قلبه؟

سمع صوتها تناديه :

- أنتظرك يا حبيب القلب، هل استطعت نسياني بهذه السهولة؟

تلفت حوله لم يجد مصدر للصوت، ظل الصوت يعلو في أذنيه حتى كاد أن يصاب بالصمم ويفقد الوعي.

حاول الرد عليها ومحادثتها فأجاب:

- سيلينا، أنت تعلمين أني لم أتخلى عنك لكنك من فارقتيني وسافرتِ، فلما عدت من جديد الآن؟

عم الهدوء المكان، لكن بعد قليل عاد صوت سيلينا يطارده بل وجد ورقة خفية داخل مذكراتها تطلب منه أن ينتظرها على ضفة النيل.

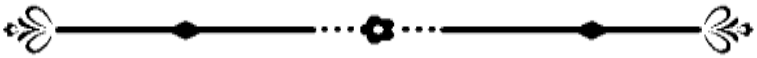

ذهب لنفس المكان وجلس أمام النيل يحاول أن يشعر بعبق زمن مضى، فرك عينيه حين رآها من بعيد، هل هي حقا أم أنها الهلاوس التي تلازمه؟

نظر لصفحة الماء رآها تقف فاتحة ذراعيها تناجيه، تطلب منه أن يقترب منها، يحتضنها لتشعر بالأمان، تحرك نحوها، لم يشعر ببرودة الماء حوله كأنه مغيب كاد أن يغرق، لولا أن رآه أحد مرتادي المكان للصيد فأمسك بذراعه وأعاده للبر محاولا إنقاذه وهو بين يديه يردد:

- أنا معك سيلينا، سألحق بك في الحال.

****

٢/الشيخ الدجال

تكرر الأمر معه حتى خشي عليه كل من حوله و سئموا من مراقبته ليل نهار، نصحوه بالتوجه لطبيب نفسي ومنهم من اقترح عليه الذهاب لأحد الدجالين ليخرج روحها من جسده!

وبالفعل اصطحبه صديق عمره مصطفى لأحد الشيوخ الذي سمع عنهم في ذلك المجال.

توجه مصطفى معه للمكان، بيت قديم في حي شعبي، متصدع الجدران تعتليه شقوق نخرت في أساسه كسرطان أصابه، بدا غامضا كبيت للأشباح، يغلفه عباءة الظلام وروائح غريبة.

اقترب مصطفى ممسكا بيد محمود يتلمس الطريق في الظلام حتى باب البيت، امتزجت رائحة البخور برائحة بركة المياه الراكدة بجوار المنزل كادت أن تصيبهم بالغثيان، اقتربا من مدخل البيت ليجدوا زحاما من مرتادي المكان مختلفي الأشكال والألوان.

هم محمود بالعودة فمنظر المكان لم يشجعه على الاستمرار به، لكن مصطفى أقنعه بالصبر حتى مقابلة ذلك الشيخ المعروف.

جلسا على مقعدين بجوار الباب منتظرين دورهم في الدخول بعد أن دفع مصطفى المزيد من المال لتلك السيدة العجوز التي تتحكم بدخول المرتادين للشيخ واحدا تلو الآخر، جلست بجواره سيدة حاولت تجاذب أطراف الحديث مع مصطفى لحين مجئ دورهم في الدخول قائلة:

- ماذا أصاب صديقك، يبدو عليه أنه مجذوب؟لا تقلق، فالشيخ صلاح قادر أن يعيده سليم معافى.

نظر لها مصطفى بدهشة قائلا:

- هل له قدرات فعلا كما يقولون لإخراج الأرواح ؟

تلفتت حولها وقالت بصوت خفيض:

- لا تقل ذلك فهم حولك يسمعوك، إن الشيخ صلاح يطلقهم حولنا وسيعرف ما قلته في الحال.

اندهش مصطفى وسألها :

- تقصدين معاونيه من هؤلاء الجالسين !

تلفتت السيدة حولها ثم قالت بقلق:

- لا بل أقصد أعوانه من أسياد الجن الذي يسخرهم لينفذوا طلباته بكل حرفية وإتقان، لكن دعك من هذا الآن وقص عليّ ما حدث مع صديقك.

قلق مصطفى من حديث السيدة ولكنه قص لها باختصار حالة صديقه محمود الذي كان مستاء من جلوسه بذلك المكان.

بعد قليل؛ أدخلته معاونة الشيخ للداخل، كان البخور يملأ الغرفة، ويجلس في آخرها رجل نحيف يرتدي جلبابا أبيض وسبحة خشبية كبيرة على صدره، معلق على الحائط بعض التعويذات المكتوبة بلون أحمر كأنها دماء كما أحاط الشيخ العديد من الأبخرة الملونة لا تظهر ملامح وجهه.

جلسا أمام الشيخ الذي ألقى عليهم كلمات غير مفهومة ثم قال لمحمود:

- إنها لن تتركك بسهولة، حب عمرك عادت إليك، إنها لن تمضي إلا بعد أن تسلب روحك معها لتعيشا سويا حياة سرمدية لا موت فيها.

علا نبض مصطفى من القلق أما محمود فلم يقتنع بحديث الشيخ وظل صامتا، أكمل الشيخ صلاح حديثه قائلا:

- لكني سأحاول أن تتركك للماضي حيث ذكرياتكما سويا، لكن ذلك سيكلفك الكثير من النقود لأتمكن من إقناعها بتركك وأن تعود لجسدها الفاني وتهدأ في سلام.

أومأ مصطفى برأسه قائلا :

- لا عليك سندفع أي مبلغ تطلبه لكي يعود لصوابه.

ابتسم الشيخ ورد عليه :

- حسنا! فلتترك ما ستخبرك به معاونتي بالخارج وسنعطيك بعض الأشياء لتستخدمها لحين الزيارة القادمة.

خرجا بسرعة من عند الشيخ ودفع ما طلبته تلك السيدة وأعطته زجاجة ماء طلبت أن يشرب منها محمود كل صباح، كما أعطته دهان أصفر بالزعفران ليدهن به جسده كل مساء.

أخذ مصطفى المطلوب وأعاد محمود للمنزل حيث زوجته زهرة التي -رغم رتابة الحياة بينهما- اشتد قلقها على ما أصابه، فلم تنسى له وقفته بجوارها أثناء مرضها وتربيته لابنها اليتيم، كانت تعلم من أول يوم في زواجها أنه يعشق أخرى لكنها لم تتخيل أن تتلبسها روحه بعد ابتعادها عنه عشرين عاما.

واظبت زهرة على إعطائه وصفات الشيخ من ماء ودهان، لكن حالة محمود زادت سوءا وارتفعت درجة حرارته، صار يهلوس فلم تجد أمامها غير صديق عمره مصطفى الذي أحضر طبيبا في الحال ووصف دواء لحالته وبعض المهدئات لحين عرضه على طبيب نفسي.

عاد مصطفى للشيخ صلاح ليأخذ منه وصفة جديدة لحالة محمود الذي أعياه المرض ولم يستطع المجيء معه، وصل نفس البيت القديم، وقف بالخارج يدخن غليونه ودخان الغليون ملأ صدره ووجهه، لكنه لم يحجب عنه صوت تلك السيدة التي تحدثت معه من قبل، انتبه لمصدر الصوت

ليجدها تجلس مع سيدة راقية بدا أنها جاءت لهذا المكان لأول مرة، اقترب منهما ليسمعها تقول:

- إن الشيخ صلاح أعوانه من الجن يعلمون كل شيء فأخفضي صوتك في حضرتهم.

والسيدة الراقية تسألها:

- هل يستطيع جعل زوجي لاينظر لأخرى، هل سوف أستطيع الإنجاب؟

ضحكت السيدة وقالت:

- إن الشيخ صلاح له كرامات ويعلم ما لا تعلمين، كل ما عليكِ أن تجزلي له العطاء و تنفذي ما يقوله في الحال.

سمعها تعيد نفس الكلمات على مسامعها كما تعيدها مع غيرها، فتيقن أنها تعمل مع الشيخ وتحاول أن تجمع معلومات من مرتادي المكان الجدد لتمد بها الشيخ صلاح ليظهر كراماته وأنه خبير بما يخفى.

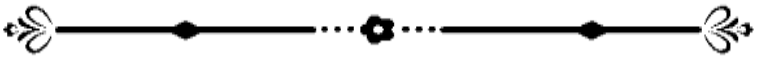

لكنه قبل أن يقترب منها أو يفضح أمرها، سمع صوت سارينة الشرطة تتوقف بالقرب من المنزل، ابتعد قليلا ليرى ما يحدث، دخلت قوة الشرطة وخرجت وبيدهم الشيخ صلاح، تم القبض عليه بعد تعدد بلاغات النصب والإحتيال في حقه.

ابتعد مصطفى وحمد الله أنه كان خارج المنزل في ذلك الوقت بدلا أن يزج باسمه في تلك القضايا.

****

٣/الطبيب النفسي

عاد مصطفى بيته ليرتاح من وقع المفاجأة واتصل بزهرة يخبرها أن تتوقف عن إعطاء محمود تلك الدهانات الخادعة، لكنه لم يجد وقتا للراحة أخبرته زهرة قائلة بصوت يشوبه القلق:

- أنجدنا يا مصطفى لقد اشتدت حالة محمود سوءا وكاد أن يلقى بنفسه من شرفة غرفته لولا تدخل الجيران استطاعوا منعه.

شعر مصطفى أن حالة محمود خطيرة، أجرى اتصالاته على الفور وقرر أن يذهبا به لطبيب نفسي معروف عله يستطيع تشخيص حالته.

بدت عيادة ذلك الطبيب مزدحمة بالمرضى كأن المدينة بأكملها لا تخلو من شخص سليم، الكل يعاني بأشكال مختلفة، منهم من يحتمل ضغوط الحياة وآخرون لم تتحمل أرواحهم تلك الضغوط تركت ندوبا غائرة بأرواحهم لم يستطيعوا محوها وظلت تؤرقهم فاستعانوا بذلك الطبيب كي يداوي جروح حفرتها الحياة بقلوبهم.

انتظروا في إستراحة بالخارج بعيدا عن الزحام حتى جاء دورهم، دخل مصطفى في البداية يقص على الطبيب حالة محمود وبعد قليل دخل محمود وزهرة بعد أن سمح لهم الطبيب بالدخول.

تفحص الطبيب محمود جيدا ليجده رجل في منتصف العمر قارب على الخمسين عاما، هزيل الجسد يبدو عليه مظاهر الإعياء وكأن المرض وحش كاسر نهش جسده وترك أثرا على ملامحه، غزا الشيب رأسه لكنه بدا عليه الوقار، حتى تحدث فشعر من كلماته أنه شخصية حساسة قد يكون بحكم عمله ككاتب يمزج الكلمات بالإحساس.

سأل الطبيب محمود :

- هل تراها دوما أم في وقت معين؟

نظر له محمود بشرود قائلا :

- لا تفارقني لحظة، بل أسمع صوتها يلازمني ويدعوني أن ألحق بها.

سأله الطبيب:

- منذ متى وأنت تراها وتسمع صوتها؟

حاول محمود استجماع أفكاره ليرد بصوت متقطع:

- لم أتخلى عنك سيلينا، كان رغما عني.

ثم أجهش في البكاء كطفل صغير فقد أمه، حاول الطبيب تهدئته لكن دون جدوى ونصحهم أنه يحتاج للحجز بمشفى نفسي حفاظا على حياته.

صدمت زهرة أن الأمر وصل لذلك الحد وخشى مصطفى أن تتأثر سمعة محمود وهو كاتب معروف فاقترح عليهم مشفى حديث بمنتجع سياحى بالعين السخنة ليبدو أنه مسافر في عطلة للاستجمام.

اضطرت زهرة للموافقة خوفا على حياة محمود ولكن الطبيب استوقفهم قائلا:

- أحتاج أن أعرف في المرة القادمة كل تفاصيل علاقة محمود بسيلينا، العلاج النفسي ليس مجرد أدوية لكنه يصحبه جلسات حوارية مع المريض تهيئه للتخلص من أفكاره وهلاوسه.

وعده مصطفى بعد أن ينهيا إجراءات حجز محمود بالمشفى أن يحاولا جمع أكبر معلومات عن تلك العلاقة التي مر عليها عشرين عاما.

حزنت زهرة على حال محمود وفكرت كيف تساعده بأي طريقة، تذكرت زميلته بالأوبرا قديما هناء والتي تتصل بها على فترات متباعدة، اتصلت بها علها تساعدهم في أمر محمود ردت بصوت أعياه المرض حين علمت ما حدث له:

- ألن تتركه تلك الأجنبية الملعونة، ألم يكفيها أنه عاش يحبها طوال عشرين عاما لتلازمه روحها بعد مماتها!

لكن هناء اعتذرت عن إكمال الحديث لأنها مريضة وملازمة الفراش وليس معها سوى ابنة أختها ترعاها ولا تتذكر الماضي ولا تريد أن تتذكره وأغلقت الهاتف بسرعة.

لم تكن زهرة زوجة محمود ترتاح لحديث هناء، لم تنسى أنها من أخبرتها يوم زفافها منذ عشرين عاما أنه يعشق زميلته سيلينا لكنها وقتها لم

يكن أمامها إلا أن تكمل الزيجة، كما أن كل معلوماتها عن هناء أنها كانت ترفض كل عريس يتقدم لها حتى وصلت الثامنة والأربعين من العمر ولم تعرف سببا لذلك.

طلبت زهرة من مصطفى أن يقص لها ما كان منذ عشرين عاما، لكنه حين علم اتصالها بهناء حذرها منها فهي ليست كما تبدو لها، وأخبرها أنها كانت قديما معجبة بمحمود لكنه لم يكترث لمحاولاتها معه وذلك ما فسر لزهرة سبب أنها صارحتها بحبه لسيلينا وحذرتها من إكمال الزيجة.

حاول مصطفى أن يهدئ من قلقها على محمود ولم يقص لها شيئا لكنه أخبرها قائلا:

- لن أستطيع أن أخبرك بالماضي لأني لا أعلم كل أحداثه، لكني علمت من محمود قبل مرضه أنه كان يكتب مسرحية روائية عن سيلينا بكل تفاصيل الماضي بعد أن أعطته مذكراتها قبل موتها، كما اعتبر محمود أن تلك المسرحية تلخص حياته كسيرة ذاتية ينهي بها حياته الأدبية والمسرحية، لكن لم يسعفه الوقت لتخرج كعمل مسرحي متكامل بعد تلبسه روحها التي سكنته، أصبحت لا أدري هل ما حدث معه نتيجة استحضار ذكريات الماضي في كتاباته أم أنه استحضر روحها بتلك الكتابات، صارت لعنة تطارده الباقي من حياته، لكن كل ما يهمنا الآن أن

نجد تلك المسرحية لنعطيها للطبيب لعله يستطيع علاجه مما أصابه بتلك الجلسات الحوارية الذي يدعيها.

لم تكن سيلينا سيئة كما حاولت أن تقنعها هناء بذلك، على العكس تماما وهذا ما أكده حديث مصطفى عنها مما حث زهرة أن تبحث عن تلك المسرحية بأي شكل لعلها تساعدها في علاج محمود، بحثت عنها في كل مكان في المنزل لم تجدها لكنها تذكرت حقيبة كان يحتفظ فيها محمود بأوراقه الهامة وأعماله المسرحية التي لم ينهيها، بحثت عنها ولأول مرة تهتم بأوراق محمود، طوال حياتهما معا لم تحاول الإقتراب من متعلقاته حتى لا تثير غضبه كما أن كلا منهما كان يعيش الحياة بمنظوره دون التدخل بحياة الآخر.

ظلت زهرة تبحث عنها في كل مكان حتى وجدتها أخيرا في غرفة مكتبه، أخرجت الحقيبة تبحث بشغف عن تلك المسرحية، وجدت ملفات عديدة بأسماء مختلفة لكن لفت نظرها ملف ورقي أسود مكتوب عليه بخط أحمر (رحيل سيلينا).

****

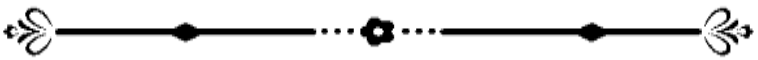

٤/الرسالة الخفية

خفق قلب زهرة بل انتفض من مكانه حين رأت اسم سيلينا على الملف ورغم فضولها لتقرأه لكنها لم تملك الجرأة الكافية لذلك، فتحت صفحة من المسرحية وجدت بها خطابا على لسان سيلينا يقول:

حب قلبي محمود ؛

تحية معطرة بعبق البنفسج الذي تحبه وبلون التيوليب الأبيض الذي يذكرني بنقاء قلبك

اشتقت إليك شوق الزهرة لقطرات الندى لتضفي عليها عبق الحياة، الحياة التي لم أعرفها سوى معك وليس لها معنى بدونك.

لا تعتقد أني تخليت عنك بإرادتي فليس سهلا على الليل أن يفارقه ضوء القمر لكن ظروف الحرب لديكم جعلت من عودتي شبه مستحيلة وخاصة بعد وفاة أبي واحتجاز أملاكه جميعها بسبب دين اقترضه من صديق عمره والذي لم يترك لنا حتى المنزل الذي نقطنه، حاول أخي مفاوضته لسداد مبلغ الدين على سنوات لكنه صمم الحصول على المبلغ كاملا حتى رآني بعد عودتي وأعتقد أني سأصل معه لحل يحمي عائلتي من الشتات.

أتمنى أن تتفهم ظروفي وأعلم أنك ستظل حلمي الذي أتمنى تحقيقه حتى أبد العمر

حبيبتك سيلينا

حين قرأت الرسالة انتفض قلبها ولأول مرة بالغيرة على محمود، لم تستطع أن تقرأ شيئا آخر، أسرعت بالاتصال بمصطفى ليأخذ الملف لطبيب محمود وإعطائه تلك المسرحية علها تساعد في إنقاذه من تلك الحالة.

استجاب مصطفى لطلبها وعاد ليأخذ منها ملف المسرحية لكي يعطيها للطبيب لكنه قبل ذلك احتفظ بنسخة منها فهي آخر عمل كتبه محمود بخط يده وخشي أن يتعرض للتلف أو الضياع، محمود كاتب مسرحي معروف وكتاباته لها وزنها بالوسط الأدبي.

ذهب مصطفى لزيارة الطبيب في عيادته ليطمئن على صديق عمره محمود، استقبله الطبيب بالترحاب و طمأنه قائلا:

- إن محمود يتعرض لعلاج مناسب لحالته جعله يهدأ نوعا ما، لكننا نحتاج لعمل جلسات نفسية معه بعد أن نعرف معلومات عن حياته في الماضي.

رد مصطفى قائلا وهو يعطيه الملف الذي معه:

- وذلك سبب مجيئي اليوم، لأسلم لك آخر عمل خطه محمود بيديه وهو مسرحية عن قصة حياته كاملة، لكن كل طلبي أن لا يعرف أحد شيئا عن احتجاز محمود فهو كاتب معروف وله اسمه بالوسط الأدبي وأي تكلفة تستلزم ذلك نحن سنتكفل بها.

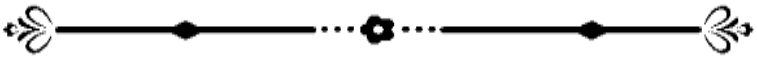

رد الطبيب بهدوء:

- أتفهم ذلك بالطبع لا تقلق، مهنتنا تحتم علينا السرية والأمانة ولن يطلع أحد على هذا الملف سواي أنا.

شكره مصطفى وانصرف ليطمئن زهرة على حالة محمود ووعدها أن تتحسن حالته في القريب ويعود لسابق عهده، لكن زهرة كان عندها مشكلة أخرى صارحت بها مصطفى قائلة:

- كيف أخبر ابني باهر بحجز عمه محمود بالمشفى وهو الذي رباه وبمثابة أبيه؟ لقد كان باهر مسافر مع أصدقائه الأسبوعين الماضين ولم يعلم عن مرضه ذلك شيئا.

اقترح مصطفى عليها قائلا:

- سأتكفل أنا بالأمر قبل وصوله المنزل سأتصل به لأخبره بفوز عمه محمود بجائزة ثقافية في لبنان وأنه سافر ليستلمها ويحاول عقد اتفاق بعرض مسرحيات الأوبرا هناك وأنه حاول الإتصال به لكن هناك عطل بهاتفه.

لم تقتنع زهرة كامل الاقتناع باقتراح مصطفى لكنها لم يكن لديها حل آخر خوفا على ابنها من الصدمة وحتى تحاول تمهيد الخبر بالتدريج على مسامعه.

على الجانب الآخر؛
أنهى ذلك الطبيب النفسي المعروف سمير طاهر عيادته
وقبل أن يعود لمنزله تذكر ذلك الملف فاصطحبه معه للمنزل ليتمكن من قراءته بتمعن وخاصة أن غدا عطلة نهاية الأسبوع وليس لديه عمل لمدة يومين كاملين.

عاد ذلك اليوم ليمارس طقوسه المعتادة في ملل يعاني الوحدة ويقضي وقته بالمنزل دون شغف، هو أيضا كباقي البشر لا تخلو حياته من المشكلات بعد أن أكمل الأربعين من عمره، يعيش وحيدا بعد طلاقه لزوجته الأجنبية وسفرها لبلدها مصطحبة ابنتهما الوحيدة معها، لم يستطع إقناعها بالبقاء بمصر أو ترك ابنته معه صار كل عدة أشهر يسافر ليرى ابنته ويعود من جديد لحياته الرتيبة ومرضاه الذين يتابعهم باستمرار، لم يكن يعلم أن زواجه من أجنبية سيفقده ابنته الوحيدة ويحرمه من تربيته لها تحت رعايته وبتقاليده الذي تربى عليها، حين أحبها وأقدم على الزواج منها ظن أنها ستكمل حياتها معه بمصر وأنهما سيربيان ابنتهما سويا لكن صغر عمره وقتها لم يجعله يتحمل الشجار المستمر لاختلاف العادات والتقاليد بينهما لذا انفصلا سريعا وسافرت بابنته لبلادها البعيدة حتى دون أن تنتظر موافقته.

اعتاد النوم مبكرا لكنه هذه المرة لم يتمكن من النوم حين وقعت عيناه على ذلك الملف الذي يخص حياة محمود، أعد قهوته وجلس على مكتبه يتفحص الملف بتمعن ويسجل ملاحظاته،

جذبه عنوان المسرحية(رحيل سيلينا) شعر أن محمود قد توقفت حياته عند رحيلها لذا تملكه الشغف ليعرف المزيد عن سيلينا وكيف كانت حياتها وما أثرها في محمود ليصل لتلك الحالة من الهوس بها.

فتح الملف ونوى أن يأخذ فكرة عن بداية المسرحية لكنه بمجرد أن بدأ القراءة لم يستطع التوقف ولو لحظة عن متابعة الأحداث بل وقع في عشق سيلينا وتمنى لو جمع القدر بينها وبين محمود كأنما تمنى لو اكتملت حياته هو مع زوجته الأجنبية، لمست أحداث قصتهما أنين بقلبه وأعادته لذكريات قديمة تشبهها بعض الشيء.

****

٥/ذكريات الماضي

سيلينا تلك الحسناء الراقية من أصول يونانية، لم تكن مجرد أجنبية تعيش بالقاهرة، لكنها استوطنتها منذ سنوات، اخترقت قاهرة المعز قلبها بل صارت تجري في دمائها، حتى صارت تنطق بعض الكلمات باللهجة العامية المصرية كمن نشأت في حواريها وطرقاتها.

جلست سيلينا أمام النيل العظيم تملأ مقلتيها بانعكاس الأضواء على صفحة مائه وتتنفس عشقا نسمات النيل الساحرة لتملأ كيانها بعبق الحضارة والجمال، مرت بها الساعات بطيئة كأنما تود لو توقفت عقارب الساعة كي تستمتع أكبر وقت ممكن من جمال المنظر،
منذ عملت عازفة بدار الأوبرا المصرية لم يعد لديها متسعا لتجلس جلستها المفضلة أمام النيل الخالد.

تمنت لو كان هناك من يشاركها تلك الجلسة، شخص أحبته وتمنت لو يفصح عما بقلبه، رغم أن الكثيرين حاولوا التودد لها فهي محط إعجاب الجميع لجمالها الهادئ ورقيها في التعامل لكن قلبها اختاره هو دوناً عنهم، لا تعرف لما هو بالتحديد لكنها منذ رأته شعرت براحة نفسية لم تجدها إلا

معه ورغم الإختلاف بينهما في كل شيء من أول بلد المنشأ للعادات والتقاليد لكنها وجدت به نصفها الناقص وودت لو اكتمل.

أمتلك قلبها وتربع ملكا على عرشه زميلها بالأوبرا محمود ماهر كاتب المسرحيات المبتدئ آنذاك، لم يستطع طلب سيلينا للزواج لصعوبة ظروفه المادية والاجتماعية، ظل صديقا محبا يحلم بحلم بعيد المنال أن تصل مسرحياته للشهرة و يتزوج حب حياته سيلينا لكنه آثر الصمت رغم تعلقه بها وحبها له.

تأخر بها الوقت ونهضت من مجلسها تاركة ما باحت به من أسرار في قلب نهر النيل الساكن وفي أمانة ذلك الليل الساتر لكل الخبايا والأسرار.
تحدثت سيلينا مع هناء صديقتها الوحيدة بمصر عما تشعر به لكن هناء حذرتها من عواقب الأمر، ذلك الحب في نظرها من الصعب أن يكتمل، حاولت إقناعها قائلة:
- كيف سيجتمع حبكما سيلينا؟ وأنت مهما طال بك الوقت هنا سيأتي يوم للعودة لليونان وشخص بمواصفات محمود لن يسافر معك ويترك عائلته.
انسابت دمعة بعينيها تحاول كتمها وردت قائلة :
- هل للقلب وطن؟ سيظل قلبي متعلقا بقلبه وروحي تعانق روحه مهما حدث.

حاولت هناء إقناع سيلينا بالإبتعاد عن محمود ليس لأجلها كما صرحت لها لكن لأن هناء أحبت محمود وتمنت لو كان زوجها وترى أنها مناسبة له أكثر من سيلينا لكنها خشيت أن تبوح له بذلك لأنها رأت نظرات الإعجاب في عينيه لسيلينا، آثرت الصمت لعل القدر يتدخل في مصيرهم.

كانت تشتعل نار الغيرة في قلب هناء حين تراهما سويا أو تسمع عنهما حديثا من المقربين، تغنى الجميع بقصة حبهما كسيمفونية عشق، جمعهما حب الفنون رغم اختلاف النشأة والعادات لينصهر حبهما في بوتقة الفن بجميع أشكاله، كم من المرات كانت تتغنى بكلمات مسرحياته على ألحان عزفها حتى صار لها رونق خاص ونكهة ساحرة، حلمت معه بإنشاء أكاديمية تدمج كل أنواع الآداب والفنون لمساعدة أصحاب المواهب الشابة.

لم يكن محمود وقتها يمتلك أساسيات الزواج كان يعمل ويكفي عائلته بعد وفاة أبيه وتجنيد أخوه في الجيش الذي ترك زوجته و ولده في رعايته، لم يكن لديه حل آخر سوى أن يعمل طوال اليوم، يعمل نهارا بالمطاعم وليلا ينشغل بكتابة مسرحياته عسى أن يستطيع أن يفاتحها في الأمر بعد أن يفي بالحد الأدنى من متطلبات الزواج.

لكن القدر لم يمهله الوقت الكافي لتحقيق حلمه، فمنذ عدة أيام؛ استلمت سيلينا رسالة من أخيها يطلب منها العودة لليونان في أقرب وقت لمرض أبيها.

وبمجرد أن قرأت سيلينا الرسالة لم يغمض لها جفن حتى قابلت محمود، شاهدته من بعيد ركضت نحوه وطلبت منه التحدث على انفراد في حديقة الأوبرا بل سبقته إلى هناك.

جلس محمود صامتا أمام عينيها الزرقاوتين كموج البحر غرق في سحرهما وتصبب عرقه حاول التحدث، انحسرت حروفه كشاطئ البحر جذرا لكنها قاطعت صمته قائلة:

- محمود؛ ألا زلت لا تعرف شعوري نحوك !؟

لم يتمكن محمود من الرد رغم معرفته بحبها له وتمنى أن يخبرها بكم احتياجه إليها، لكن كيف يواجهها بصعوبة معيشته واختلاف البيئة والعادات ومستوى المعيشة عن بيئتها الأصلية.

ظل محمود يستمع لأحلام سيلينا في شغف كأنه يعيش في ليالي ألف ليلة وليلة، تمنى لو كانت أميرته في الخيال ليخطفها على جواده الأبيض لكن الواقع الأليم أفاقه من أحلامه فليس كل ما يبتغيه المرء يدركه.

لكن سيلينا لم تنتظر رده بل أكملت قائلة:
- سأسافر خلال يومين لليونان؛ مرض والدي وأريدك معي محمود لن أتخيل حياتي دونك.

فوجيء محمود بخبر سفرها وتمنى لو كان أمره بيده لتزوجها في الحال وسافر معها إلى أي مكان،
يكفيه أن تكون بين يديه لكن ماذا يفعل مع أهله الذين ليس لهم عائل دونه، ياليتها تستطيع الانتظار بعض الوقت ليعد أموره.
ارتعشت شفتاه وهو يحاول أن يبحث بكلمات مناسبة عن ما يشعر به، قال بتردد وقد تلعثمت كلماته :
- أنت يا سيلينا حلم لا أستحقه بل أنت نجمة عالية في سماء ليلي البهيم، كيف أستطيع الوصول إليك وأنا مكبل بأعبائي لسابع أرض.

نظرت له سيلينا بإشفاق وهي تخفي دموعها المتحجرة بمقلتيها قائلة:
- عدني أن تحاول اللحاق بي أو سأحاول العودة إليك، لكن لتعلم أني لن أحب غيرك مهما حييت.

لم يستطع محمود أن يعدها بشيء وكأن لسانه شل عن الحركة لكنه أمسك يديها بحنو وضمهما إلى قلبه لتشعر بنبضاته المرتجفة، تمنى لو خبأها بين

ذراعيه فلا تسافر أو تبتعد عنه ولو للحظة واحدة، تمنى لو أمهله القدر بعض الوقت ليفي بتكاليف السفر معها والزواج ومتطلباته.

لم يشعرا بالساعات وهي تمضي حتى تأخر الوقت نهضت سيلينا من مجلسها مودعة إياه على أن يلقاها قبل سفرها.

لكن هناك من كان يشاهدهما من بعيد، إنها صديقتهما هناء الذي لم يهنأ بالها حتى تدخلت كالعادة، وبمجرد ابتعاد سيلينا اقتربت من محمود وجلست تتحدث إليه بعد أن تلونت كالحرباء تحاول استقطاب قلبه وفكره قائلة:

- أعرف يا محمود أنك تحبها لكن سيلينا لن تترك أهلها الأثرياء باليونان ورغد العيش هناك لتشاركك لقيمات الجوع والفقر هنا بالقاهرة وفي ظل الحالة الغير مستقرة بالبلاد، ابتعد عنها محمود فذلك الأصلح لكلاكما.

حاول محمود أن يعبرعن إحساسه لهناء علها تشرح لسيلينا ما عجز لسانه عن البوح به قال لها بمشاعر مضطربة:

- أرجو أن تخبري سيلينا أني سأعمل ليل نهار لمحاولة زواجي بها لكن عليها أن تمهلني بعض الوقت، أنا حاليا مكبل بقيود من الأعباء، أنتظر عودة أخي من الجيش ليحمل عني المسئولية وأتفرغ لحياتي لأحقق حلمي.

يئست هناء من محاولة إقناع محمود حين وجدت اللهفة بكلماته والبريق بعينيه حين تحدث عن سيلينا ووعدته أنها ستبلغ رسالته لسيلينا وانصرفت وهي تنوي أن لا تبوح بشيء لها.

لم ينم محمود ليلته وظل يفكربكلمات هناء، تزاحمت الأفكار برأسه كطنين النحل ماذا لو بإمكانه السفر كيف سترضى به عائلة سيلينا في ظروفه الحالية، وما ذنبها أن تعيش ضيق الحياة وهي ابنة رجل ثري باليونان، هل ستترك عائلتها وتتزوجه دون مسكن أو حياة مناسبة أم يتخلى عن أسرته ويسافر معها تاركا إياهم دون عائل.

لكن قطع حبل أفكاره سماعه لصراخ أمه، هرول مسرعا ليستكشف ما حدث.

انهارت أمامه باكية وقالت والدموع تنساب من عينيها كأمطار غزيرة بللت وجهها ويديها:

- انقذ أخيك يا محمود، يقولون مات أحمد، أخبرني أنه سيعود وأنهم كاذبون، كيف رحل ولن أراه مرة أخرى، ليتني مت قبل ذلك وكنت نسيا منسيا.

حاول محمود تهدئتها، يحاول فهم ما تقوله فأخبرته زوجة أخيه باستشهاد أخيه محمد في مناورات حربية بعد أن قام بعملية خطيرة على ضفة القناة.

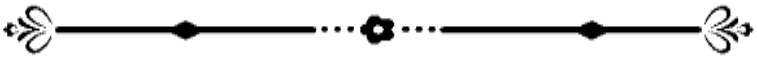

لم يتمالك محمود الصدمة لكن إغماء والدته أمامه جعله يركض بها لأقرب مشفى وجلس بجوارها عدة أيام لم يعي فيهما الزمن حتى استردت صحتها واستعوضت ربها في ولدها الشهيد.

وبعد أن أفاق من صدمته، عاد ليبحث عن هناء علها تخبره عن سيلينا، علم منها أن سيلينا سافرت دون أن يتمكن حتى من وداعها وهونت عليه الأمر أن من المؤكد أن القدر يفعل الصالح لهما، لكنه لم يكترث لحديثها وظل يحيا على أمل عودتها.

****

٦/ فراق الأحبة

اضطرت سيلينا للسفر دون وداع محمود، لم تستطع أن تعرف مكانه بعد غيابه تلك الفترة من الأوبرا ولم تخبرها هناء بأي شيء، لكنها لم تفقد الأمل أن يلحق بها أوتعود إليه بعد مهلة من الوقت، سافرت وهي تحلم أن تعود من جديد لنبض قلبها محمود.

انشغلت سيلينا برعاية والدها المريض وحين شعر بوجود سيلينا بجواره طلب أن يحدثها منفردا وقال بصوت مرهق:

- سيلينا ابنتي الجميلة، أعلم أنك ليس لك ذنب بكل ما حدث معي، كنت أتمنى أن أؤمن لك حياة مستقرة بعد موتي لكني لم أستطع ذلك، فقد التف حولي ذلك الشريك الوغد كثعبان يحوطني من كل جهة، يعتصرني حتى كدت اختنق، حافظي على نفسك بنيتي ولا تأمني لأحد حتى أخيك، الطمع يعمي عيونه كسحابة سوداء لا يرى بها إلا نفسه.

احتضنته سيلينا وهي تحاول تهدئته ووعدته أنه سيشفى قريبا وسيعود أفضل مما كان.

لكن قلبه لم يتحمل صدمة احتجاز شريكه على أملاكه فتوفي بعد شهر من إقامته بالمشفى مما زاد من ديونه المتراكمة على أبنائه بعد موته.

مر شهر على سيلينا ولم تفق من صدمة فقدان والدها وتراكم ديونه كما تمسك أخيها بعدم عودتها لمصر مرة أخرى خاصة بعد تناول وسائل الأخبار العالمية العديد من أخبار القلق في منطقة الشرق الأوسط مما أثار الفزع بقلوب الأجانب وترددهم في العودة من جديد.

ظل محمود ينتظر عودتها سنوات متتبعا أخبارها من صديقتها هناء وعبر الرسائل التي كانت تصله منها على فترات، لكن مع مرور الوقت شحت الرسائل بأخبارها بل انعدمت تماما حتى أيقن أنها لن تعود إليه، حاول مراسلتها أكثر من مرة على نفس البريد لكن دون جدوى، كل ما تبقى رسالتها الأخيرة الذي ظل محتفظا بها مع صورتها التي لم تفارق مخيلته لحظة واحدة مع سطور الرسالة التي قرأ فحواها بنبض قلبه،
طوى الرسالة لكنه ظل يعود إليها كلما استبد به الحنين يتحسس ملمس الحروف ويقتفي أثر عبق البنفسج متمنيا أن يأتي اليوم وتعود لكن هيهات أن نجد ما يتمناه القلب فمعظم الأحيان تتدخل الظروف لتعبث بحياتنا كيف نشاء.

تملكه اليأس بعد رحيلها وانتهت مسرحية سعادته قبل بدء فصلها الأول. تغيرت حياته وانغلق على ذاته، فقد مرحه المعتاد، صارت الإبتسامة نادرة لا تزوره إلا في المناسبات، زادت حالة الإكتئاب مع حالة الحرب الدائرة في

البلاد وفقده لأخيه الوحيد الذي توفى شهيدا تاركا زوجته زهرة أرملة وابنه يتيما دون أب يأخذ بيده لمقتبل الحياة.
انغمس محمود في العمل محاولا تناسي كل همومه، ظن أنه يستطيع توفير تكاليف سفره لسيلينا وترك مبلغ من المال لأسرته لحين عودته.

عمل محمود بكل شيء فتارة يعمل بأعمال البناء كعامل باليومية وتارة أخرى يعمل كحارس بشركة أمن ليلية، لم يكن يأخذ قسطا من الراحة حتى هزل جسده وانهارت صحته، لكن كل ما شغل باله وقتها هو محاولة تحقيق حلمه الذي قضت عليه رسالة من سيلينا لهناء قضت على أمله نهائيا، رسالة تخبره أن لا يراسلها بعد الآن لأنها تزوجت، لم يستوعب كيف تتخلى عنه بتلك السهولة وتتزوج غيره وهو يكد ويتعب ليصل إليها بشتى الطرق.
شعر بخيبة أمل تملكت كل كيانه، لعن الظروف والوقت الذي لم يمهله ليتزوجها، تملكه اليأس ولامها داخل نفسه على عدم وفائها بوعودها معه، لم يعلم ماحدث معها وما الضغوط التي تعرضت لها ولا كيف كانت حياتها أسوأ مما يتخيل في كوابيسه.

على الجانب الآخر باليونان؛ فتحت سيلينا عينيها ببطء وهي في نصف وعي لا تكاد ترى ماحولها إلا بصورة مشوشة، نظرت حولها لترى غرفة بيضاء،

رائحة الأدوية والمطهرات بالمكان، حاولت أن ترفع يدها لكنها كانت مكبلة بأجهزة المحاليل وأسلاك تتصل بشاشة تنبض مع نبضات قلبها.

لم تعي أين هي؟ ولا ماذا تفعل بهذا المكان الذي يبدو كمشفى خاص؟

لكنها استمعت لحديث ممرضة بجوارها تجيب الطبيب الذي يتفحص ملف أبيض بيديه وهي تقول:

- تلك المريضة جاء بها أخيها إلى هنا بعد محاولتها الانتحار بتناول كمية كبيرة من المهدئات وبعد أن تم غسيل المعدة، الحالة استقرت نوعا ما لكنها لم تفيق حتى الآن وسنحاول إجراء باقي الفحوصات والتحاليل المطلوبة.

اقترب منها الطبيب يتفحصها بتمعن ودون بعض الملاحظات بملفها ثم وجه حديثه للممرضة:

- إنها تبدو بحالة جيدة، ستستجيب مع الوقت والأدوية لكن يجب متابعة حالة القلب لأنه ضعيف وتأثر بما تناولته من الأدوية.

انصرف الطبيب وتلته الممرضة ولم تستطع سيلينا أن تنهض من مكانها فتثاقلت عيناها ودخلت في غيبوبة حلمت فيها أنها ستعود لمصر وتلتقي بمحمود مرة أخرى وتزوجته وأنجبت منه طفلا يشبهه لكنها أفاقت

على صوت أخيها الأجش يخاطب الممرضة بصوت عال:

-هل ستستمر حالتها كذلك أم أنكم تتكاسلون في أداء عملكم لتستنزفون أموالنا في علاجها.

حاولت الممرضة تهدئته ودعته لمقابلة الطبيب، عادت لتطمئن على سيلينا التي أفاقت من غيبوبتها حاولت أن تنهض من الفراش فمنعتها الممرضة وجلست بجوارها تخفف عنها وسألتها بشفقة وحزن على حالها:

- ما الذي لجأ بك للانتحار ؟

حاولت سيلينا التحدث لكن خنقتها العبرات واغرورقت عيناها بالدموع وخرجت الكلمات من فمها بنبرة حزن وأسى كعزف الناي الحزين قائلة:

- بعد وفاة والدي وتكالب الديون علينا، احتجز شريكه كل أملاكه ولم يعد لدينا أي مصدر للدخل، لم تتحمل والدتي الصدمة أصيبت بجلطة في المخ فقدت على أثرها النطق واحتجزت بالمشفى ولم نستطع دفع تكاليف علاجها وإقامتها، واقترح أخي حلا لكل ما نحن فيه لنكمل الحياة لكنه كان فيه الموت لروحي.

صمتت سيلينا قليلا وقد جف ريقها ناولتها الممرضة كوبا من الماء فهدأت قليلا ثم أكملت حديثها:

- حين ذهبت مع أخي لمحاولة إقناع شريك والدي لتقسيط الديون وعدم احتجاز منزلنا، لاحظ أخي نظرات إعجابه بي ومحاولته إرضائي قدر الإمكان، وفعلا بعد أيام فاتح أخي في أمر زواجه بي ورحب أخي على الفور فذلك الاقتراح السحري سيحل كل ديوننا المتراكمة ويضمن لنا الاستمرار

في نفس مستوى المعيشة، كما أننا سنستطيع استكمال علاج والدتي المريضة.

حين أخبرني الأمر لم أعي الفكرة، كيف سأترك حب عمري محمود وأتزوج برجل يكبرني بسنوات عديدة، كيف أستطيع التخلي عن حلمي وأدفن حياتي في قبر ذلك الرجل الذي كان السبب في موت والدي ومرض والدتي.
حاولت الاعتراض لكن أخي مارس معي ضغوطه النفسية والجسدية، حبسني بمنزل بعيد دون أن أتواصل مع أحد حتى الرسائل التي كنت أرسلها لحبيبي محمود منعني من إرسالها وأخبرني أني السبب في تدهور حالة أمي الذي لن نستطيع توفير علاجها وإقامتها بالمشفى إلا إذا تزوجت ذلك الرجل البغيض.

لم يكن أمامي وأنا في ذلك السجن إلا محاولة التخلص من حياتي تناولت كل أقراص المهدئ التي أمامي لكنها للأسف لم تفيد بعد أن تمكن من إنقاذي وإحضاري إلى هنا.
انهارت سيلينا وأجهشت في البكاء وحاولت الممرضة تهدئتها واستدعاء الطبيب على الفور الذي أعطاها حقنة مهدئة استسلمت بعدها لنوم عميق.

تحدث الطبيب مع أخيها مقترحا أن يستعينوا بأخصائية نفسية لعلاجها تصطحبها في المنزل فأخبره أخاها أنه مستعد لتقديم كل الدعم للمشفى

وتوفير كل التبرعات المالية لكن إذا ساعدوه في سرعة علاجها وإقناعها بالزواج من ذلك الرجل الثري الذي يستطيع شراء المشفى بمن فيها .

خلال أيام كانت تلك الأخصائية النفسية تجلس مع سيلينا وتحاول إقناعها بقبول الأمر الواقع وأن أسرتها تحتاجها وخاصة والدتها التي تقيم في المشفى في حالة خطيرة.

لم تستجب سيلينا للحوار في البداية لكن مع الوقت وثقت بتلك الأخصائية فلم يكن لديها غيرها تتحاور معه وهي حبيسة المنزل وبعد فترة من الوقت أقنعتها تلك السيدة أنها تساعدها وسترسل الخطابات لحبيبها وصديقتها في مصر دون معرفة أخيها .

وبعد أسابيع من عدم رد محمود على رسائلها جاءتها تلك السيدة برسالة من صديقتها هناء في يدها قرأتها لها أن حبيبها محمود تزوج من مصرية ولم يعد يهتم لأمرها.

ورغم صدمة سيلينا بالخبر وعدم استيعابها ما يحدث،

دار بذهنها تساؤلات كثيرة سألت الأخصائية والدموع بعينيها :

- لما كل أحبتي يتركوني وحيدة؟ في البداية موت والدي ومرض والدتي وزواج محمود وحبس أخي لي، لماذا يتخلون عني هل لتلك المرحلة هنت على الجميع.

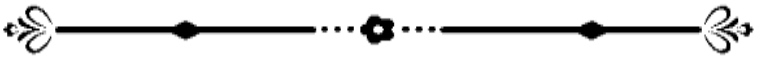

أقنعتها تلك السيدة الأخصائية مخاطبة إياها :

- أنت السبب في ذلك فأنت تهبي قلبك بسهولة فيستهينوا به لا تكترثي لأحد واهتمي بحالك فقط.

استطاعت بكلماتها أن تقنعها أن حل معضلتها في الزواج فحتى لو كانت لا تحب ذلك الرجل الأكبر منها بعدة سنوات لكنه على الأقل يعطيها حريتها من سجن أخيها ويوفر لها حياة كريمة تعيشها في رخاء كما ستطمئن على والدتها بعد أن توفر لها تكاليف العلاج و تسد ديون أبيها.

وبعد تقبلها الصدمة قررت أن توافق على الزواج من ذلك الرجل فلم يعد لديها خيار آخر بعد زواج حبيبها كما أنها تخشى فقدان والدتها إن لم تكمل العلاج.

****

٧/ الزواج المميت

تهلل أخاها بخبر موافقتها على الزواج ممن أراد وأجزل العطاء لتلك السيدة التي أقنعتها وفي خلال أيام معدودة تم زفافها على ذلك الرجل التي لم تتخيل يوما أن تقترن بمثله، فهي شابة جميلة في ريعان الشباب لكن تشاء الظروف أن تتزوج من شخص غير مناسب لها بالمرة.
ليست الأزمة أنه يكبرها بسنوات عديدة فقط، لكن الطامة الكبرى حين اكتشفت بعد زواجها منه أنه مدمن كحوليات ويسهر كل ليلة مع أصدقائه في الحانات المختلفة ويعود في غير وعيه يهينها ويتطاول عليها إن امتنعت عن معاشرته وهو في تلك الحالة من السكر وغياب الوعي.

استمر بها الحال على ذلك المنوال لكنها تحملت مقابل تركه لأموال أبيها في حوذة أخيها وتكفله بكل مصاريف والدتها المريضة أما هي فكانت لا تجد متنفسا لها إلا في العزف على البيانو فأخرجت ألحانا حزينة تعبر عن ما آل إليه حالها.

كانت كلما ضاق بها الحال تتذكر حياتها بالقاهرة التي رغم بساطتها كانت تملأ قلبها بالحياة مع من أحبته وأحبها فتنساب دموعها على وجنتيها حين

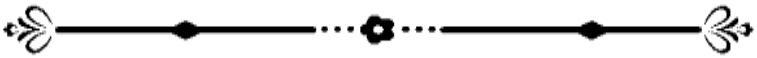

تتذكر محمود ولا يعي عقلها كيف استطاع قلبه نسيانها وتزوج من أخرى.

لم تعرف أن محمود انهار حزنا على فراقها وتلك الرسالة التي أرسلتها هناء بخبر زواجها قضت على أمله أن يراها مرة أخرى فعاش في عزلة عن كل من حوله، لم تدرك أن صديقتها الوحيدة هناء هي السبب في كل ما حدث بينها وبين محمود.

لم ينتهي دور هناء لهذا الحد فقد أوغر صدرها حالة محمود لفراق سيلينا وقررت زيارة والدته لتحذيرها

وبعد الترحاب والتحية جلست تحدثها قائلة:

- أمي الغالية، لماذا تتركين محمود بهذا الشكل لقد أوشك على إنهاء حياته.

تحسرت الأم ومصمصت شفتاها تنعي حظها في ولديها قائلة:

- يا ويلي في أولادي فقدت واحدا وسأفقد الآخر، ماذا بوسعي أن أفعل يا بنيتي ؟!

ردت هناء بابتسامة خبيثة:

-زوجيه يا أمي؛ لا تتركيه للظنون أو لتلك الأجنبية تغويه ليسافر لها، محمود طيب القلب وسيستمع لحديثك.

صمتت الأم برهة من الوقت تفكر في حديث هناء ثم قالت:

-يا ليته يستمع لحديثي لكني سأحاول معه، ولن أتركه حتى يتزوج لعله يسترد روحه المفقودة.

فرحت هناء واعتقدت أنها ستصل لمرادها فقد حاولت بكل الوسائل التقرب من محمود ووالدته لكن أم محمود كان لها رأيا آخر فقد حزن قلبها لرؤيته على هذا الحال وانتوت أن تحدثه في أمر هام في أقرب وقت.

مرت أيام على إنقضاء الذكرى السنوية لوفاة أخيه وحال محمود كما هو دون تغيير.

فاتحته أمه في أمر زواجه لقلقها عليه قائلة له محاولة إقناعه:

- محمود يا بني، إلى متى ستظل دون زواج ؟!

لا تنتظر من فارق ولا تبتاع من باعك، .طمئن قلبي وروح أخيك بتربية ابنه في كنفك ورعايتك، زهرة أرملة أخيك لا تزال شابة قد تتزوج وتحرمنا من ابن أخيك ولا نراه إلا كل فترة.

ما رأيك أن تتزوجها ولن تكلفك شيئا فهي ترضى بالقليل كما أن عملها كممرضة يدر عليها دخلا سيساعدكم في تربية الصغير.

نظر لها محمود حائرا فقلبه ليس ملكه حاول الكلام لكن توقفت الكلمات في حنجرته و الدموع في مقلتيه وحاول تهدئتها قائلا:

- رغم صعوبة الأمر على نفسي يا أمي لكني سأحاول التفكير في الأمر لكن لن يستطيع أحد حتى لو أنا ملأ فراغ أخي أبدا.

ظل محمود يحاول تجنب الحديث مع أمه حتى لا تعيد عليه نفس الاقتراح مرة أخرى لكنه بعد مرضها وعجزها عن الحركة، حاول التفكير في الأمر فهو لم يعد قادرا على رعايتها وحده.

تردد في البداية، لكنه في النهاية رضخ لطلبها إرضاءً لها، خاصةً بعد فقده الأمل في عودة حب عمره سيلينا لكن أمه لم يمهلها القدر وتوفيت بمجرد زفافه وكأنها أكملت رسالتها وتركته يرعى أرملة أخيه وابنه من بعدها.

علمت هناء بأمر زواجه من أرملة أخيه كادت أن تجن وشعرت أن كل ما فعلته لتحظى بمحمود قد ذهب هباءً منثورا ونوت أن تتخلص من كل من يعترض طريقها لقلبه فذهبت للعروس تحذرها من انشغال قلبه بغيرها مما أحزن قلبها، لكن العروس خشت أن تحزن ابنها وقررت في نفسِها أن تكمل الزيجة لأجل ابنها اليتيم الذي لن يجد أفضل من عمه لكي يحتضنه ويرعاه، رغم أن قلبها بات ميتا منذ وفاة زوجها وحب حياتها، فلم تعد تهتم أن تحظى بقلب محمود أو غيره.

جذبت حالة محمود الطبيب النفسي سمير طاهر الذي يعالجه فقرر أن يسهر كل ليلة ليكمل ما بدأه من تلك المسرحية التي تشابه حياته في أجزاء كثيرة، عاد بذكرياته لما حدث معه في بداية زواجه وكيف كان الجميع يحاربه لزيجته من حبيبته الأجنبية التي أحبها من كل قلبه كان كلما قرأ جزء من تلك المسرحية يعود بعجلة الزمن سنوات عديدة.

في بعض فصولها شعر بالاستياء من سيلينا لتخليها عن محمود وكأنما يلوم زوجته هو لتخليها عنه وفي مواضع أخرى يلعن تلك الأفعى المتلونة هناء التي تفسد عليهما حبهما البريء، عند هذا الحد وصمم الطبيب سمير أن يتصل بزوجة محمود ليحذرها من التعامل مع هناء، بدأ يشك في أمرها؛ شخصية بتلك الحقد والكراهية قد تفعل أي شيء لتدمر من حولها وتفسد سعادتهم، شعر أنها بومة تنعق ببوق الخراب بين المحبين؛ لم يكفيها فراق محمود عن حبيبته سيلينا بل تدخلت لتفسد زيجته أيضا

نهض من مقعده واتصل بمدام زهرة التي ردت بقلق:

- خير يارب، هل حدث مكروه لمحمود؟

رد الطبيب سمير:

- لا تقلقي، لكني كنت أود أن أعرف القليل عن هناء، هل لاتزال على صداقتها معكم؟

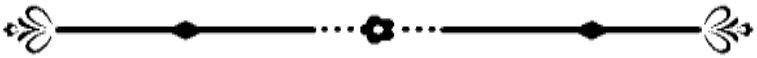

ردت زهرة:

- قلما نتعامل لكن ما سبب ذلك السؤال؟!

رد عليها محذرا:

- خذي حذرك منها قدر الإمكان حتى يعود محمود لحالته الطبيعية، وقتها يتضح كل شيء

حاولت زهرة الإطمئنان على محمود، أخبرها أنه يجد تحسنا واضح مع بعض الأدوية ولا داعي للقلق.

أغلق معها المكالمة لكن ذهنه انشغل بباقي القصة وهل لهناء سبب فيما حدث مؤخرا مع محمود، هذا ما لم يتضح له لكنه دون ملاحظاته في دفتر صغير كي يحدد كيف يكمل خطة علاج محمود وهل الدواء سيكفي أم أنه يحتاج لجلسات حوارية تنقب عن الماضي في عقله؟

ذهب إلى فراشه لعله يريح عقله من كل تلك الذكريات التي تلح على رأسه كطنين النحل على أمل أن يكمل القراءة بالغد بعد استراحة كافية، لكنه استيقظ بعد عدة ساعات على اتصال هاتفي من ابنته بأمريكا تحدثه وتخبره أنها ستحاول قضاء عطلة نصف العام معه بالقاهرة فتهلل وجهه وشعر بنشوة قلبه ووعدها أن يأخذ عطلة من عمله تلك الفترة ويتفرغ لها يصحبها فيها لكل بقاع مصر السياحية.

نهض من فراشه وكله طاقة إيجابية بعد تلك المكالمة الهاتفية وأعد فطوره وجلس يحتسي قهوته بشرفة منزله وبجواره عصافير الكناريا التي تقتنيها ابنته تعزف سيمفونية فرح بخبر قدومها إلى مصر وكأنها تشعر بما يدور بخلده وتحاول إعادته لحنين الذكريات حين كان يجلس مع زوجته الجميلة كل صباح يتجاذبان أطراف الحديث مع قهوتهم الصباحية قبل ذهابه للعمل، تذكر باقي المسرحية؛ أحضرها ليكمل قراءة ما كتبه محمود لعله يجد مبررا لسيلينا كي تترك محمود بهذا الشكل، وأكمل القراءة في هدوء.

****

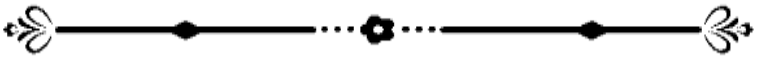

٨/ باهر القلوب

تمت الزيجة في هدوء بعد وفاة والدة محمود،
أما محمود فلم ينسيه زواجه من أرملة أخيه زهرة حبه القديم رغم أنها زوجة هادئة نوعا ما، لكن شخصيتها اعتادت الجمود والجدية بعد رحيل زوجها وانشغالها بعملها وهذا ما لم يلائم الطبيعة الخيالية الحالمة لكاتب مثل محمود مرهف الحس يرسم بكلماته شخصيات تنبض بالحياة، يجسد الرومانسية في مسرحياته بعد أن فقدها بحياته.

لذا لم يعرف الحب طريق قلبيهما فهي تحيا على ذكرى زوجها الراحل وتجد في ابنها عزاء لقلبها حين تنظر إلى وجهه الذي يشبهه وتتمنى أن يرث خصاله الرائعة من رجولة وإقدام، كما أنها شغلت نفسها بعملها، صارت تقضي معظم يومها في المشفى رغم عدم تقصيرها في شئون بيتها وزوجها لكنها لم تستطع امتلاك قلبه ولم تحاول من الأساس.

ظل محمود أغلب الوقت في عمله بالمسرح ككاتب ومخرج مسرحي، لذا آثرت زهرة الإنشغال بابنها وعدم محاولة إزعاجه واستمر كلا منهما يحيا بجسده مع الآخر لكن القلوب تعيش على ذكرى من رحلوا ولا عزاء للأرواح الذابلة بعد أن فقدت من يعيد إليها الحياة من جديد.

مرت الحياة بين محمود وزهرة حياة روتينية تملكتها روح الرتابة والملل كأنها صارت حياة من صخر لا يتأثر حتى بزخات المطر فلن ينبت زهرا من لا شيء، لم ينجبا أطفالا فانصب اهتمامهما بابنها الوحيد الذي تعلق بعمه ولم يعرف سواه أبا له فوجد محمود فيه سلوى لأحزانه وعوضا عن فقده أخيه وحبيبته.

صار يقضي أغلب وقته في صحبته، يصحبه معه بمسرح الأوبرا وقت العطلة الصيفية وأشركه بالعديد من دورات الآداب والفنون ليتعلم المزيد عنها ويرضي شغفه، صار باهر محبا لأغلب الآداب والفنون المختلفة.

باهر الذي اتخذ من اسمه نصيب فأبهر الجميع بمهاراته وطوع ريشته بين يديه لترسم لوحات لا ينافسها سوى جمال مقطوعات عزفه، اندمجا سويا ليصنعا شاب مميز وفنان بالفطرة، انقسم شغفه بين الرسم الذي أجاده ببراعة وإتقان حتى تمكن من رسم اللوحات لكبار الرسامين وما بين الموسيقى الذي تعلم العزف على أغلب آلاتها الموسيقية خاصة البيانو فصار عزفه يعيد الحنين لقلب محمود كلما سمع معزوفة تذكره بسيلينا التي حلم معها بإنجاب ابن مثله يرث حبهما للفن والموسيقى لكن يشاء القدر أن يرزقه بابن أخيه عوضا عن أمنيته.

مرت سنوات وانصب اهتمام محمود في كتاباته وإخراج مسرحياته حتى وصل صيته لأعلى مكان وصار من كبار المؤلفين المسرحيين بمصر يتهافت كبار المنتجين على مسرحياته بمجرد انتهائه من كتابتها لكن ظل أغلبها يحتوي على سر خفي وشجن غير مبرر.

حاول محمود أن يتقبل حياته الجديدة مع زهرة لكنه كان كلما اقترب منها شعر باختلافها عنه،

شخصياتهما تكاد تكون متناقضة فهي تؤمن بالواقعية والحياة العملية ووقتها منقسم بين ابنها وعملها ليس لديها وقت للحب أو العواطف كأنها آلة ديناميكية تتحرك بحساب، حتى مظهرها الجاد بتلك النظارة الزجاجية والشعر المرفوع لأعلى والملابس الداكنة توحي بتلك الصرامة في المعاملة.

صار لا يتحدث معها إلا حين الضرورة، لكنها كانت دائمة السخط بشأن تربيته لابنها واستنكرت حثه له على تعلم العزف والفنون فهي تراها مضيعة للوقت وتجعل الولد لينا مرهفا، أرادت أن يكون كأبيه شجاعا قويا لا يهاب أحد وتمنت أن يصير ضابطا مثله له اسمه ومكانته.

لكن ابنها كان له رأي آخر فلقد نشأ وترعرع في كنف عمه وشرب منه حبه للفن وجمال الإحساس حتى في دراسته فضل عدم الالتحاق بالكليات العسكرية كما أرادت والدته واجتاز امتحان القدرات ليحقق حلمه في الالتحاق بإحدى كليات الفنون الجميلة لكن غضب أمه غير مساره.

قاطعت زهرة ابنها حتى يرضخ لطلبها لكن الابن كان عنيدا لأبيه متمسكا برأيه.

حاول عمه محمود الوصول لحل يرضي الابن وأمه فحاول إقناع كليهما بدخوله كلية عملية إرضاءا لأمه واعدا إياه أن يستمر بممارسة نشاطه بالأوبرا كعازف هاوٍ.

لم تقتنع الأم في البداية لكنها رضخت لذلك الرأي لعلمها بعنده الذي ورثه من أبيه ويستحيل إثناءه عن ما قرر لكن مكانة عمه لديه ساعدت في إقناعه بذلك الحل الوسطي .

استمرت العلاقة الباردة بين محمود وزهرة لا يتحدثا سوى بشأن ابنهم باهر حتى تجمدت الكلمات كثلج يصعب ذوبانه لافتقادهما حرارة اللقاء والحديث.

لكن تلك المرة ما أجبر محمود على فتح الحوار ملاحظته على زهرة شحوب وجهها وهذلان جسدها

سألها في هدوء:

- مابك يا زهرة؟ أراك لست على مايرام !

حاولت زهرة التهرب من الإجابة وتصنعت الإنشغال في الأعمال المنزلية لكن محمود واجهها بورقة في يديه وكرر سؤاله:

- ما ذلك التحليل يا زهرة؟ لماذا ام تصارحيني بما أصابك؟ هل هذا نتيجة تحليل أورام على ما فهمت!

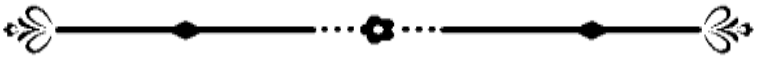

تنهدت زهرة تنهيدة من أعماق قلبها كأدخنة رماد، ردت عليه قائلة:

-لا عليك، فلا تشغل بالك أو تشعر باهر بأي شيء.

فامتعض غاضبا وأكمل حديثه:

- كيف تتحملين ذلك وحدك دون بوح، لما لا تشاركينا ألمك؟

يا زهرة؛ حتى وإن جمعتنا الظروف سويا دون إرادتنا فعلى الأقل نكون سندا وعونا فبيننا سنوات من العشرة ولأجل ابننا باهر.

شكرته زهرة قائلة:

- لا أريد لباهر أن يعلم شيئا يكفيني أن أرى أنه بخير ويحقق حلمه من جديد، كما أني مطمئنه لوجودك بجواره، رغم أنك عمه لكنك أبيه الذي لم يراه ودعمك المستمر له هو ما يريح قلبي، لذا فلا تخبره بموعد التحاليل.

وافق محمود لكنه اشترط عليها أن يصحبها في موعد التحاليل والأشعة ولا تذهب وحدها.

جاء موعد الطبيب فطلب مقابلة محمود منفردا وقال له:

- إن زوجتك زهرة بعد فحص الأشعات والتحاليل قد وصلت لمرحلة متأخرة من المرض، حجم الورم كبير وسنحاول أن نتبع مراحل عديدة من الإشعاع والكيماوي، لكن الأهم من ذلك حالتها النفسية التي قد تؤثر على استجابة الجسم للعلاج .

حاول محمود بعد حديث الطبيب أن يغير معاملته مع زهرة، صار أكثر ودا وحنانا، كان يصحبها في جلسات العلاج الكيماوي والإشعاعي ويسهر على متابعة أدويتها دون ملل، استمر كذلك عدة أشهر حتى تماثلت للشفاء ولم يصارح باهر بحقيقة مرضها بل أوهمه أنها تقوم ببعض الفحوصات الدورية بسبب عملها كممرضة لتطمئن على صحتها، كان محمود يقوم بذلك بدافع الواجب وعشرة العمر.

لكن ظلت حياة محمود روتينية قاتلة لم يجد سلواه

إلا في ذكرياته مع سيلينا، تذكر أول لقاء بينهما في دار الأوبرا الذي حدث فيه مفارقة لطيفة لم ينساها حتى اليوم تخيلها أمامه منذ عشرين عاما،

حين دخل غرفة التدريب للمسرحية، وجد فتاة بملامح أجنبية جميلة تجلس على البيانو استعدادا للعزف

فحدثها قائلا:

- من فضلك يا آنسة انهضي عن تلك الآلة لأكمل تدريبات المسرحية، فليس لدي وقت أضيعه.

نظرت له الفتاة بتعجب:

- لقد جئت من قبلك فكيف تطلب مني النهوض قبل إكمال عزفي؟!

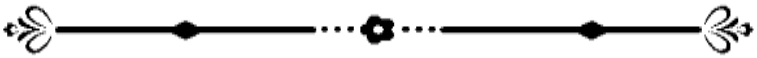

نظر لها باستخفاف :

- هذه القاعة للمحترفين يا آنسة، ابحثي عن قاعة الهواة في الجانب الآخر ولا تهدري وقتي لم يعد لدي متسع للحديث معك فأمامي مسرحية غنائية وباقي الفريق سيصل الآن .

نهضت غاضبة لكنها ردت قائلة:

- حسنا ؛سأريك من الهواة ومن المحترفين .

تركته باندفاع لكنه لم يكترث لحديثها وأحضر مقعده استعدادا لتدريبات حفلة نهاية العام.

مرت ساعتان لم يشعر خلالها بالوقت لكنه تذكر موعده مع مدير المسرح لذا ترك باقي الفريق بعد أن أتم توجيهاته لهم واتجه لقاعة المسرح الكبير ليقابل المدير، وقبل أن يصل إلى باب القاعة جذب أذنه عزف لم يسمع مثله من قبل لمقطوعة عالمية نادرة و بإحترافية شديدة.

وبمجرد انتهاء عزف المقطوعة صفق لعازفها بشدة لكنه اندهش وجحظت عيناه حين وجد أن العازفة هي تلك الفتاة المتمردة التي تشاجر معها منذ قليل.

صمت والتفت خارجا لكنه سمعها تقول:

- اعترف الآن أني فزت بالرهان ولتعلم من هم المحترفين حقا، لا تنكر أنك انبهرت بعزفي وصارت آلتي المفضلة من حقي الآن.

حاول تجاهل حديثها لكن مدير المسرح استوقفه ليعرفه إياها:

- سيلينا هي أمهر من يعزف البيانو في تلك الأوبرا وهي من سوف تتولى العزف عليه في المسرحية الغنائية القادمة.

امتعض محمود ورد التحية على مضض ثم أسرع في الإبتعاد.

ومع تكرار التدريبات خلال الأسابيع اللاحقة خف التوتر بعض الشيء من جانب محمود أما سيلينا الجميلة فطبعها العنيد لم ينسيها مدى فظاظته في لقائهم الأول كما أن تربيتها الأوروبية أورثتها الالتزام وعدم المرونة في الحديث فكانت تتجنب أي تعامل معه خارج نطاق الأوبرا رغم إحساسها بمدى اهتمامه بها وتغيير معاملته معها.

وفي يوم فاصل تأخرت فيه سيلينا على غير عادتها مما أثار قلق محمود وهم بالانصراف لكن في آخر لحظة لمح طيفها من بعيد فجلس مرة أخرى حتى اقتربت منه وقد اعتراه القلق، ظهرت اللهفة في عينيه وحاول تمالك نفسه حتى لا يظهر عواطفه تجاهها قائلا:

- لماذا تأخرتِ عن موعدك أيتها العازفة الماهرة؟ أم لأننا في حاجة إليك فمن حقك أن تعاملينا كما تشائين؟

نظرت إلى عينيه وشعرت ما وراء كلماته، اعتذرت عن التأخير قائلة:

- انقضى الوقت في تدريب الأطفال بمركز الآداب والفنون ولم أستطع المجئ في الموعد لكني سأحاول تكثيف تدريبات العزف في الوقت المتبقي كي تكمل مسرحيتك.

نظر لها محمود باندهاش:

- ما ذلك المركز للفنون هل هو للأطفال فقط؟

جاوبته سيلينا بتأني:

- لا بالطبع؛ هو لكل الأعمار، حتى أنت يمكنك تدريب الشباب على الأداء المسرحي هناك، لكن للأسف صاحب المركز سيغلقه عن قريب لسفره خارج البلاد، وكنت أتمنى لو أمتلك ما يكفي من المال لأكمل حلمي به وأسعى لتطويره ليصير أكبر أكاديمية للعلوم والفنون.

أفاق محمود من ذكرياته مع سيلينا على صوت ابن أخيه باهر يخبره عن التحاقه بأكاديمية العلوم والفنون بجوار دار الأوبرا.

ابتسم محمود للصدفة وتذكرحلم سيلينا وتمنى لو كانت هنا ليحققا ذلك الحلم سويا وبادر بالسؤال عن أصحاب تلك الأكاديمية؟

رد ابن أخيه باهر بابتسامة قائلا:

- سمعت من أصدقائي يا عمي أن من يملكونه من خارج البلاد سيدة أرملة محبة للفن لم تنجب أطفالا قررت شغل وقتها بمساعدة الموهوبين

في الفنون والآداب المختلفة لكننا سنجتمع جميعا في حفل تعارف بالأكاديمية الشهر القادم وسوف أهديها مفاجأة متأكد أنها ستبهرها حين أرسم لها لوحة زيتية تثبت لهم مهاراتي في الرسم.

أنصت محمود لكلماته بأذنه لكن عقله قد ذهب مع قلبه لذكرى أجمل لحظاته مع سيلينا، لم يعي ما يقوله لكنه تمنى له التوفيق ومحذرا إياه أن لا تأخذه هوايته من استذكار دروسه حتى يسترضي أمه ويكمل طريق مستقبله.

بعد شهر تقريبا اجتمع مجموعة من الرفاق ليحتفلوا بإعلان افتتاح أكاديمية الآداب والفنون والذي صادف عيد ميلاد مديرة المكان، اهتموا بكل التفاصيل ليسعدوا قلبها في ذلك اليوم كما أسعدتهم بتعاملها الراقي مع كل فرد فيهم.

تعهد باهر أن يرسم لصاحبة الأكاديمية لوحة زيتية يهدونها لها في عيد ميلادها، كان إبداعه في رسم اللوحات الزيتية بأدق التفاصيل لا يضاهى كأنه يجسد الشخص بريشته الساحرة ينطق حروفا وكلمات.

أعد فريق العازفين مجموعة من المقطوعات الموسيقية العالمية التي تدربوا عليها خلال الفترة الماضية بالأكاديمية.

اهتموا بأدق التفاصيل، اتفقوا على قالب كعكة عيد الميلاد بطعم الكريمة المحلاة واختاروا بعناية باقة من زهور التوليب الأصفر والزهري كما تفضلها تماما.

دقت الساعة التاسعة مساء واجتمع الجميع حسب الاتفاق المبرم بينهم ليبدأ الحفل بالعزف المتمكن الذي بهر الجميع وانتهى بإقامة مشهد تمثيلي راقي صفق له الجميع.

ظنت صاحبة الاكاديمية أن الحفل انتهى لكنها لم تكن تعلم أنها بداية الاحتفال.

فجأة انطفأت الأنوار لتتفاجئ بإنارة الشموع في كعكة عيد الميلاد مع عزف مقطوعة موسيقية وغناء الجميع أغنية عيد الميلاد.

قدموا لها باقة الزهور التي لاقت إعجابها جدا

وانبهر الجميع باللوحة الزيتية المدهشة لصاحبة المكان وهي شابة تعزف البيانو كادت تنطق بالحياة مما جعلها تبكي من شدة الفرح.

التفوا حول اللوحة ليلتقطوا بعض الصور التذكارية، كان يوما لا ينسى في حياة الجميع لكنه لم يكتمل.

****

٩/ الحادث

رن جرس الهاتف في منزل محمود، رفعت زهرة السماعة سمعت صوت خفيض تعرفه جيدا، لكنها لم تتحمل ماقيل لها وألقت بالسماعة على الأرض، لم يوجد محمود بالمنزل وقتها فلم تتمكن من انتظاره أخبرته باتصال هاتفي ما حدث فسبقها على هناك

انطلقت مسرعة كمهرة في سباق للخيل، لم تعرف ماذا تفعل لكنها وصلت لمكان الحادث، آثار الحريق و الأبخرة السوداء في كل مكان بدت كأشباح وسط ألسنة النيران.

حاولت زهرة الدخول للمكان لكن رجال الإطفاء منعوها، وقفت تذرف الدموع وهي في حالة انهيار تام.

ربتت على كتفها من الخلف يد حانية واستها بلطف التفتت لتجد محمود قد علم بالأمر وسبقها إلي هناك حاول التماسك رغم الألم ووسط هذا الزخم وجد اللوحة الزيتية التي رسمها ابن أخيه باهر لصاحبة المركز

ولم يصدق عينيه من المفاجأة ، أمسك ببقايا اللوحة وتمعن في ملامحها، هل تلك السيدة تشبه حبيبته السابقة سيلينا لذلك الحد ؟!

بل هي سيلينا فعلا! حاول محمود تمالك نفسه أمام زهرة وابتعد بها مسرعاً لم يع ماذا يفعل لكن قلقه على ابن أخيه طغى على مشاعره فوقف أمام زوجته زهرة

وسألها في قلق:

- ماذا حدث بالمركز وهل ابني بخير؟

رد ت زهرة والدموع تملأ عينيها:

- لا أعلم عنه شيئا فالجميع مشغول بإطفاء الحريق ولا أجد من يطمئن قلبي عنه كل ما سمعته صوت استغاثته أثناء مكالمة الهاتف.

وقفا وقد تملكتهما الحيرة لا يعيا ما حدث لكن محمود بعد سؤال من حوله حاول أن يهدئ قلقها وأخبرها أن سيارة إسعاف أخذت المصابين في الحريق وسيحاول معرفة أين ذهبت بهم ولأي مشفى ستتجه بهم.

وجد مذيعا من أحد الفضائيات بجواره يذيع خبر الحريق وحاول التحدث مع محمود لكن قلقه منعه من الحديث سمعه يقول:

- هؤلاء الضحايا في الحريق أصدقاء جمعهم مكان واحد هو مركز الآداب والفنون، التحقوا به لممارسة هواياتهم وتعلم المزيد عنها فصار ذلك المركز واحتهم الخضراء التي يجدوا بها الراحة من وعثاء الحياة، جمعتهم تلك السيدة المحبة للجمال والتي تعد بمثابة أمهم الحنون التي دعمتهم ووقفت

بجوارهم ولم يمر دقائق فقط من ذلك الاحتفال بعيد ميلادها حتى انتهى كل شيء في لحظات.

وقف الجميع أمام نفس المبنى لكن بعد أن التهمته ألسنة النيران وعزف الحزن أنشودته السوداء بدلا من أغنية عيد الميلاد.

لم يتحمل محمود ما سمعه من وسائل الإعلام، اصطحب زهرة ليبتعد بها عن ضجيج الإعلاميين، قاد سيارته بجنون لعنوان المشفى بعد أن أحضره من أحد المسعفين وكانت زوجته زهرة في حالة انهيار تام.

دخل مسرعا لموظفة الاستقبال يسأل عن مصابي الحريق لكن لم يفيده أحد، الكل منشغل بإسعاف المصابين، حاول إيجاد أي خبر عن ابن أخيه حتى أخبرته إحدى الممرضات أنه بخير لكنه يحتاج لأن يمكث عدة أيام حتى تشفى آثار الحروق بجسده، أخبرتهم رقم غرفته فهرولوا مسرعين للإطمئنان عليه.

دخلت زهرة بسرعة لتجد ابنها الوحيد مستلقيا على فراش أبيض وجسمه مغطى بأكمله بالشاش الأبيض حتى صار يشبه المومياء، صرخت صرخة مدوية وجلست لجواره تذرف الدموع لكن محمود حاول تهدئة روعها ووعدها أن يبحث عن الطبيب المسئول ليطمئن على حالته.

خرج محمود من الغرفة يبحث عن الطبيب لكنه تبع نداء قلبه القلق على سيلينا بعد أن رأى صورتها المحترقة وسط ركام الحريق، انتابته حالة يرثى

لها، بحث عن نفس الممرضة في كل أروقة المشفى حتى وجدها أخيرا ثم استوقفها سائلا:

- ما حال تلك السيدة الأجنبية بالحريق؟

أجابته بأسى:

- تلك السيدة بحالة خطرة لذا تم احتجازها بغرفة العناية المركزة وممنوع عنها الزيارة.

أخذ محمود يلح على الممرضة أن يراها من بعيد، وافقت على مضض بعد أن شعرت بالقلق في حديثه وبعد أن أجزل لها العطاء لكن لدقائق معدودة.

وقف محمود أمام فراش سيلينا يتأملها وهي غائبة عن الوعي، نفس الملامح الرقيقة حتى وإن مر الزمن تمنى أن تفتح عينيها الزرقاوتين ليشبع منهما أو تستمع لحديثه ولو للحظات فقط، تمنى لو يأخذها بين ذراعيه ليطمئن قلبه وتعود إليه روحه المفقودة.

لكن الطبيب لم يعطه الفرصة، طلب منه ترك المريضة للراحة حتى تسترد وعيها، سأله على حالة ابن أخيه وطمأنه أنه بخير وسيخرج بعد عدة أيام.

ظل محمود طوال تلك الأيام أثناء رعايته لابن أخيه بالمشفى يزور سيلينا كل يوم وهي لا تشعر به بل كان يحضر لها باقة زهور التيوليب البيضاء التي

تفضلها ويضعها بجوارها حتى صار اهتمامه المفرط بها حديث كل الممرضات.

حتى جاءته ممرضة في يوم مسرعة لتخبره بأن سيلينا أفاقت من غيبوبتها وتطلب رؤيته على الفوربعد أن أخبرتها الممرضة أنه لم يتركها طوال الأيام الماضية.

لم يتمالك محمود نفسه من الفرح وأسرع لغرفتها جلس أمامها وسيلينا تنظر إليه مندهشة لا تصدق عينيها أن محمود أمامها.

نظرت سيلينا إليه لتجد رجلا قد غزا الشيب رأسه ولكن لم تتبدل ملامحه التي تحفظها جيدا بل محفورة بقلبها نطقت بصوت خافت :

- محمود! كيف جئت إلى هنا

حاول محمود إسكاتها خوفا عليها قائلا:

- لا يهم كيف أو أين لكن الأهم أني رأيتك بعد كل تلك السنوات ليحيا قلبي من جديد بعد أن مات من زمن بعد حزني على تخليك عنى ومخالفتك لعهدك لي بالعودة بل تزوجت أيضا.

تمالكت سيلينا حالها، قالت بأنفاس متقطعة:

- لم أتزوج إلا بعد أن علمت بخبر زواجك وتخليك عني.

اندهش محمود وصرخ قائلا:

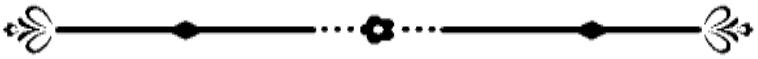

- بل جاءتني رسالة صديقتك هناء تطلب مني عدم مراسلتك بعد أن تزوجتي.

قاطعته سيلينا:

- لا يهم الآن ما حدث بالماضي فلن نعيد الزمن ولم يعد بالعمر بقية وأشعر أني على مشارف الموت ولن أئتمن أحدا غيرك على ما أريد.

ابتلعت ريقها بصعوبة وحاولت أن تكمل حديثها قائلة:

- ستجد بالخارج فتاة شقراء اسمها ميرينا هي ابنة أخي ومن تبقى لي في الحياة ستعطيك مذكراتي كاملة وكل ما يخص أكاديمية الفنون حلمنا القديم الذي عدت لتحقيقه كما أردت لكن لم يمهلني القدر أن أسعد به عدني الآن أن تكمل مسيرتي وحلمي في تلك الأكاديمية وترعى شبابها المبدعين وتسعى لتطويرها.

انسابت الدموع من عين محمود وأمسك يد سيلينا

قائلا:

- لا تقولي ذلك مرة أخرى، تستردين عافيتك أولا ونتعاون معا لإكمال الحلم الذي وددنا تحقيقه منذ سنوات عديدة.

ابتسمت سيلينا وقاطعتهما الممرضة موجهة حديثها لمحمود أن يكفي هذا الوقت حتى لا ترهق المريضة.

خرج محمود ليجد تلك الفتاة الشقراء ميرينا كم تشبه عمتها في الملامح، ابتسمت له وأعطته المذكرات والأوراق وتركته لتطمئن على عمتها.

لكن بعد لحظات سمع محمود صرختها وعلم أن سيلينا لفظت أنفاسها الأخيرة كأن وصيتها له كانت آخر كلماتها في تلك الحياة.

انهار محمود ولعن القدر الذي دائما ما يعانده فيخلف توقيته كل مرة ليحرمه من سعادته المفقودة.

****

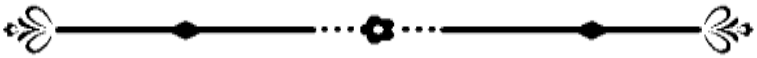

١٠/ مذكرات سيلينا

بعد أيام من وفاة سيلينا،

اصطحب محمود ابن أخيه للمنزل بعد أن اطمأن أنه استرد عافيته ولم يعد في حاجة للمشفى، تركه في رعاية أمه زهرة وذهب لمقر الأكاديمية.

ورغم أن الحريق ترك آثاره السوداء في كل مكان لكن محمود جلس في ركن بعيد يتصفح مذكرات سيلينا وانهالت دموعه مع حروفها ولم يستطع تمالكها، كان يرى صورتها في كل صفحة وصوت عزفها يملأ أذنيه داخل سطورها لكن بمجرد انتهائه من قراءتها، علم أنها تعرضت للكثير من الإهانة مع ذلك الزوج الظالم المتجبر حتى توفى إثر جرعة كبيرة من الكحوليات وأنها بعد حصولها على إرثها منه ووفاة أمها وأخيها، عادت لمصر مع ابنة أخيها لتحقق حلمها في تلك الأكاديمية بعد أن عاشت حياتها بأكملها معه وتحملت الكثير منه ومن ظلم أخيها لها حتى حين عادت ووجدت حبها من جديد لم يمهلها الزمن.

تعهد محمود داخل نفسه أن يفي بالوعد ويكرس ما تبقى من حياته ليحقق حلم الماضي وأن يتغير ليتحدى الظروف ولا يستسلم لها ليحقق حلم سيلينا الذي قضت عمرها تود تحقيقه وأن تصير تلك الأكاديمية لها شأن كبير في عالم الآداب والفنون.

اتفق مع ابن أخيه باهر أن يستمر هو ورفاقه بالأكاديمية ويسعون لتطويرها وأنه سيرعاهم قدر استطاعته وترك لميرينا إدارة الأكاديمية بعد وفاة عمتها لكن في ظل متابعته ورعايته.

وبعد عدة أشهر من وفاة سيلينا؛ عاهد محمود نفسه بعد قراءته لمذكرات سيلينا أن يكتب مسرحية عن قصة حياتها ليخلد ذكراها أبد الدهر ويتم عرضها في دار الأوبرا برعاية الأكاديمية وبالإستعانة بشباب المبدعين.

أغلق الطبيب النفسي لمحمود ملف المسرحية بعد أن استمر في قراءتها دون نوم لليوم التالي، وأشفق على محمود مما تعرض له وعلم أن صدمة لقائه بسيلينا وهي على مشارف الموت هي السبب في حالة الهوس التي أصابته كأنما يستنكر موتها خاصة بعد أن قرأ مذكراتها وكتب تلك المسرحية المؤلمة وعاش أحداثها وتأثربها .

حدد الطبيب جلسات علاجية لمحاورة محمود وقرر أن يبدأ في تنفيذها من أول الأسبوع، لكن جاءه اتصال هاتفي من المشفى يخبروه بتدهور حالة محمود ورفضه لتناول العلاج.

ظل الطبيب يتابع حالة محمود عن كثب محاولا أن يستغل ما عرفه من كتاباته عن سيلينا ليمنع عنه عقدة الذنب التي تملكته بعد أن فارقت الحياة، بدأ يخبره عن حلمها في علوْ اسم الأكاديمية وذكره بوصيتها له في

ذلك محاولا تغيير فكرة اللحاق بها أو مطاردته لها بتلك الهلاوس التي يراها.

ظل محمود يهذي باسم سيلينا وينكر موتها، يحدث كل من يراهم باسمها وكأن روحها عادت لتحوم حول محمود يحدثها وينتظر عودتها من جديد.

لم ييأس طبيبه من محاولة علاجه بكل الطرق الحديثة التي تعلمها بالخارج، كان متعاطفا معه وكأنما يعالج حاله من حنينه لزوجته الأجنبية وابنته.

ظل محمود كطفل صغير يتعلم من معلمه كيف يتحمل الصدمة وبدأ التجاوب معه تدريجيا

واتصل الطبيب بزهرة ومصطفى واقترح أن يأتوا لزيارة محمود تحت إشراف الطبيب وخطة العلاج لأن محمود في حاجة لدعم الجميع ليخرج مما هو فيه،

وأن يحاولوا زرع الأمل بقلبه أن سيلينا ستكون معه وستعود روحها حين يعود لرشده ويحقق لها حلمها ليعلو اسم الأكاديمية عاليا.

بعد أشهر من تلقي العلاج؛ جاءت امرأة مجهولة للطبيب تطلب زيارة محمود، لم تخبر اسمها في سجل الزيارة لكنها أخبرتهم أنها صديقة قديمة جاءت لتطمئن عليه، حاولوا الاتصال بالطبيب لكنه كان منشغلا وسمحوا

لها بالدخول دقائق معدودة بعد أن أجزلت لهم العطاء وتعهدت أن لا تطيل زيارتها وتنصرف قبل مجيء الطبيب.

كان محمود جالس في حديقة المشفى مع دخولها لكنه حين رفع عينيه ليرى من القادم لزيارته؟

قابل آخر من كان يود رؤيتها، إنها هناء من توهم أنها صديقتهم المخلصة ورفيقة عمره

نظرت له بإشفاق قائلة له:

- ألا زلت تحبها حتى بعد أن ماتت وتركتك طوال عشرين عاما، ألن تنساها يا محمود؟

صرخ محمود في وجهها:

- ألن تتركيني بحالي، ألم يكفيك أنك السبب في كل ما حدث بحياتي، فرقتي بيني وبين حبيبة عمري، مالذي جاء بك يا هناء؟

اقتربت منه هناء وربتت على كتفه قائلة:

- ألم تعرف بعد؟ لم أتزوج حتى الآن لأجلك، أحببتك منذ عملنا سويا بالأوبرا و انتظرتك طويلا، كنا مناسبين لبعضنا البعض، نفس الظروف والنشأة، لكن قدوم تلك اليونانية اللعينة سيلينا جذبك نحوها ولم تعد تلاحظ وجودي، حتى بعد أن تركتك تلك الأجنبية وقررت الزواج من غيرها، خذلتني مرة أخرى وتزوجت من أرملة أخيك.

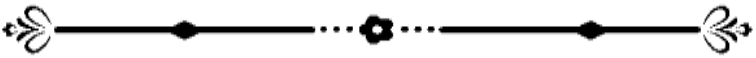

الآن ماتت سيلينا، احترقت نعم كنت سببا في ذلك الحريق ولو عاد بي الزمن لأحرقتها ألف مرة،
نعم؛ هي تستحق لأنها سلبتك مني، أنا أحبك محمود، أرجوك انسى الماضي ولنحيا سويا من جديد، و سوف أخلصك من لعنتها التي أصابتك.

اندهش محمود من المهاترات التي تقولها وأبعدها من أمامه قائلا:
- هل جننت يا هناء، كيف تقدمين على حرق الأكاديمية بكل من فيها لتشبعي حقدك وغلك؟ ألم تفكري ولو لحظة واحدة في هؤلاء الشباب المبدعين الذين تعرضوا للخطر ومنهم بهاء ابني الذي لم أرى غيره؟
لو بإمكاني الآن كنت أحرقتك كما أحترق قلبي على سيلينا انصرفي من أمامي الآن، لم أعد أحتمل رؤيتك.

جال بنظره حوله ليطلب من الأمن أن يدخل غرفته ويبعدها من أمامه، لكن في لحظة خاطفة أخرجت هناء من حقيبتها سكينا حادا طعنته به ثم طعنت قلبها بنفس السكين وهي تقول لمحمود:
- إن كان موتها جعلك تحبها أكثر، سأموت معك و من أجل أن يجمعنا الموت إذا أبت الحياة أن تجمعني بك، لعلك تعلم كم كان حبي لك عظيما.

التف حولهم كل رجال الأمن بسرعة واستدعوا الأطباء وسط هرج ومرج ولكنهم لم يستطيعوا إنقاذها وبمجرد نقلها لغرفة العناية المركزة ماتت

على الفور، أما محمود؛ جرحه الغائر ظل ينزف وغاب عن الوعي بعد أن فقد الكثير من الدماء، حاول الأطباء نقله لمشفى آخر وظلت زوجته زهرة وصديقه مصطفى حوله، لم يتركاه لحظة واحدة كما تبرع له ابن أخيه باهر بالدماء ليجمع بينهما رابط آخر يوطد علاقتهما سويا وكأنما شاء القدر أن يجعل له ابنا يشبهه في كل شيء.

وبعد نجاة محمود من الحادث واطمئنان الأطباء على صحته، عاد مرة أخرى لمتابعة علاجه مع طبيبه النفسي سمير طاهر حتى تحسنت حالته بشكل كبير بعد ذلك الحادث.

وكأنما تخلص محمود من عقدة الذنب نحو سيلينا بعد تعرضه للخطر بسبب تمسكه بحبها.

بعد مرور العام عاد محمود بيته وسط أحبائه ومع زوجته وابن أخيه واحتفلوا جميعا بافتتاح الأكاديمية وعرض المسرحية على مسرح الأوبرا، يوم احتفلوا فيه بنجاة محمود ونجاح مسرحيته مع ذكرى وفاة سيلينا وميلادها وكأنما عادت روحها من جديد لتشاركهم لحظاتهم الجميلة بمشاركة كل شباب الأكاديمية في العرض وتوسط المسرح صورة لسيلينا الجميلة وسط كل طلابها من مبدعي الفنون وبتشجيع مارينا الجميلة ابنة أخيها التي جعلت من افتتاح الأكاديمية حديث الصحف والإعلام.

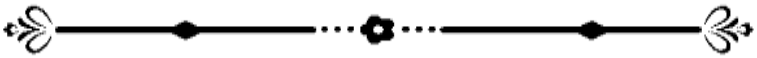

أما محمود فقد قرر أخيرا أن يودع ذكرى سيلينا للأبد بعد أن وفى بوعده معها لكنها ستظل أثرا جميلا في حياته وحياة كل من عرفها، عاد ليكمل ما تبقى من الحياة مع عائلته الصغيرة زوجته زهرة وابن أخيه باهر ليسعد بهم وينعم بدفء العائلة ويكفيه أن حياته تسربت من بين يديه كحبات الرمال وأضاع ما فات من عمره على سراب من رحلوا دون أن يعيش حلو الحياة ويعيد لروحه المفقودة طعم الحياة.

تمت

****

محتويات الرواية

إهداء..... 5

١/ مقدمة..... 6

٢/الشيخ الدجال..... 9

٣/الطبيب النفسي..... 15

٤/الرسالة الخفية..... 20

٥/ذكريات الماضي..... 25

٦/ فراق الأحبة 33

٧/ الزواج المميت..... 41

٨/ باهر القلوب 48

٩/ الحادث 59

١٠/ مذكرات سيلينا..... 66

محتويات الرواية 73

للتواصل مع الدار

التعاقدات

المعارض

الصفحة الرسمية

مسابقات

طلب إصدارات

الإعداد

التوزيع